

الصَّارِمُ الْمَسْلُوكُ عَلَى شَاكِمِ الرُّسُولِ

لِشَيْخِ الْإِسْلَامِ الْإِمَامِ تَقِي الدِّينِ أَبِي الْعَبَّاسِ
أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ الْحَكِيمِ بْنِ عَبْدِ السَّلَامِ، الْحَرَّانِي، الدِّمَشْقِي
الْمَعْرُوفَ بِأَبْنِ تَيْمِيَّةَ
٦٦١-٧٢٨ هـ

مَقْفُذٌ، وَفَصْلَةٌ، وَعِلْمٌ مَرَاتِبُهُ
بِمَجْدِ تَحْيَى الدِّينِ عَبْدِ الْحَكِيمِ
عَفَا اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ

۱۹۸۳ - ۱۴۰۲

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله ذي الجلال والإكرام ، وعلى رسوله أفضل الصلاة والسلام ،
ثم على آله وصحبه خيرة الأنام ومصاييح الظلام .

وبعد ؛ فهذا كتاب « الصارم المسلول ، على شاتم الرسول » أحدُ تصانيف
شيخ الإسلام الإمام أبي العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام ،
المعروف بابن تيمية ، وتصانيفُ الإمام ابن تيمية أعلى قدرا وأرفع منزلةً من
أن ينوءَ بها أو يشاد بذكرها ؛ فقد وَهَبَ الله تعالى من قوة العارضة وسعة الاطلاع
ومقانة الحافظة والقدرة على البيان عما يريد في طَلَّاقَةٍ ونَصَاعَةٍ وفَصَاحَةٍ ما لو أنه
قُسِمَ على عشرات العلماء لوسمهم ولكان كل واحدٍ منهم عالما خفلا بشار إليه
بالبنان ، ثم وَهَبَ بعد ذلك من الجَلَّادَةِ والصبر ، ومن الجدِّ والدَّابِّ ، ومن حب
العلم والرغبة في إفادته والاستهانة بالصعاب في سبيل تحصيله وإعلامه الناس ، ومن
الحرص على دين الله والمبادرة إلى الاستجابة إلى داعي الله ، ومن الزهد في إذاعة فضله
والخوف من كتمان ما علمه الله ما يكفي عُشْرُ معشاره الجهادية الأفاضل ، ومن
الإقبال عليه وحبِّ الناس له وتقانيهم في ذلك الإقبال وهذا الحب ما يرى
بعضه فوق الكفاية لينطلق الداعي إلى الله غير خَوَّار ولا وَرَكِلٍ ، وليستقبل
الشدائد ويتحمل المشاق بصدر رَحْبٍ ونفس آمنة مطمئنة ؛ ومن أجل هذا كله
كانت مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية تفيض بالبحوث النادرة والمسائل الغريبة
والاستدلالات الباهرة من كتاب الله تعالى ومن سنة رسول الله صلى الله عليه
وسلم ، ومن أقوال العلماء في كل فن ، وفي كل مذهب ، ومن قواعد الأصوليين
في عبارة ناصحة واضحة وفي بيان أتيق رَصِين ، ومن أجل هذا كله كانت
تَرِدُ عليه الأسئلة من مشارق الأرض ومغاربها ، فما إن يرد عليه السؤال حتى

يُكْفَى عَلَى الرَّذِّ عَلَيْهِ فَيُخْرِجُ بَعْدَ لَيَالٍ بِرِسَالَةٍ فَذَّةٍ مُحِيطَةً بِأَطْرَافِ مَوْضُوعِ
لِلسُّؤَالِ فِي اسْتِيعَابِ شَامِلٍ وَاسْتِدْلَالِ كَامِلٍ وَإِبَانَةِ تَبَهَّرَ عُقُولَ ذَوِي الْأَلْبَابِ ،
وَمَنْ وَجَدَ جَمًّا وَأَجْرًا بَنَى .

هذا كتاب « الصارم السلول ، على شاتم الرسول » ألقه شيخ الإسلام ابن تيمية بعد حادث حَدَثَ في أيامه ، فرأى أن « أدنى ما لرسول الله صلى الله عليه وسلم من الحق عليه أن يذكر ما شرع الله من العقوبة لمن سبَّ نبيه من مسلم أو كافر ، وأن يذكر توابع ذلك ، ذكرًا يتضمن الحكم والدليل ، وينقل ما حضره في ذلك من الأقاويل ، ويُردِّفَ القولَ بحظه من التعليل ، وبيان ما يجب أن يكون عليه التعميل ؛ لأن أدنى ما أوجب الله على المسلم تعزير رسول الله صلى الله عليه وسلم ونَصْرَه ، وإيثاره بالنفس والمال في كل موطن ، وحفظه وحمايته من كل مؤذٍ ، وإن كان الله قد أغنى رسوله عن نصْرِهِ الخلق إياه ، ولكن ليلو الله بعض خلقه ببعض ، وليعلم الله من ينصره ورُسُلَهُ بالغيب .

هذا كتاب «لصارم المسلول» ، على شاتم الرسول » وبحسبك أنه من تصانيف شيخ الإسلام ابن تيمية الذي يكتب فلا يدع فيما يكتب مجالا لقائل ، والله سبحانه وتعالى ينفعك به ، ويعيد عليك من بركات صاحبه ، آمين .

محمد بن عبد الله بن عبد الحميد

محمد بن عبد الحميد

ابن تَيْمِيَّةَ

١ - هو الإمام ، القدوة ، العالم ، الزاهد ، الداعي إلى الله بقوله وفعله وصبره وجهاده ، الذي ملأ الدنيا ، وشغل الناس ^(١) ، شيخ الإسلام ، ومفتي الأنام ، ناصر دين الله ، ونحى ما أمات للناس قبله من سنة رسوله صلى الله عليه وسلم : أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن الخضر بن محمد بن الخضر بن علي بن عبد الله ، المعروف بابن تَيْمِيَّةَ ، الحراني ، نزيل دمشق ، وصاحب التصانيف الكثيرة النافعة التي لم يسبقه أحد إلى مثلها .

٢ - وُلِدَ في يوم الاثنين عاشر شهر ربيع الأول من سنة ٦٦١ من الهجرة ، بِحَرَّانَ ، وقَدِمَ مع والده وأهله دمشق وهو صغير ، فسمع الحديث من حفاظ ذلك العصر وجهابذة علمائه ، ولازم السماع سنين ، وكان قلما سمع شيئاً إلا حفظه ، وكان ذكي القلب متوقد القريحة نافذ البصيرة ، فما زال يجد ويدأب ويجمع ويحصل حتى صار إماماً في التفسير وما يتعلق به ، بارعاً في الفقه ، حتى ليقال : إنه أعرف بفقهاء المذاهب من أهلها الذين كانوا في زمانه ، وكان - مع ذلك كله - عالماً بوجوه اختلاف العلماء ومآخذهم وأدلتهم ، متقناً للأصول والفروع ، والنحو ، واللغة ، وغير ذلك من العلوم النقلية والعقلية ، وما تكلم معه أحد في فن من الفنون إلا حسب ذلك الفن فنه الذي تفرد به ، من أنه يراه عارفاً به ، متقناً له ، متمكناً منه ، أما الحديث فكان حامل رأيته ،

(١) استعرنا هذه العبارة من قول ابن رشيقي القيرواني في أبي الطيب المتنبي الشاعر المعروف ، والحق أنه لم يملأ الدنيا علماً وإرشاداً وتأليفاً ، ولم يشغل أهل الدنيا - ما بين حاسد وحاقِد ومضطغن ، وعجب وطالب للإفادة ومشفق - من بين علماء هذه الأمة مثل صاحب هذه الترجمة

حافظاً له ، مميّزاً بين صحيحه وسقيمه ، عارفاً برجاله ، خبيراً بمنازلم من القوة والضعف ، لا يشق له غبار في علوم الحديث كلها .

٣ - أثنى عليه وعلى علومه وفضائله جماعة من أمثال علماء عصره : مثل القاضي الخوي ، وابن دقيق العيد ، وابن النحاس ، وابن الزملكاني ، وقاضي قضاة مصر الحنفى ابن الحريرى .

قال عنه ابن الزملكاني : اجتمعت فيه شروط الاجتهاد على وجهها ، وله اليد الطولى في حسن التصنيف ، وجودة العبارة ، والترتيب ، والتقسيم ، والتبيين . وكتب على تصنيف له هذه الأبيات :

ماذا يقول الواصفون له وصفاته جلت عن الحصر
هو حجة لله قاهرة هو بيننا أعجوبة الدهر
هو آية في الخلق ظاهرة أنوارها أرزت على الفجر

ونقل عنه ابن شاكر أنه قال عن شيخ الإسلام ابن تيمية : « كان إذا سئل عن فن من الفنون ظن الرأى والسامع أنه لا يعرف غير ذلك الفن ، وحكم أن أحداً لا يعرف مثله ، وكان الفقهاء من سائر الطوائف إذا جلسوا معه استفادوا في سائر مذاهبهم منه ما لم يكونوا عرفوه قبل ذلك ، ولا يعرف أنه ناظر أحداً فانقطع معه ، ولا تكلم في علم من العلوم - سواء كان من علوم الشرع أو غيرها - إلا فاق فيه أهله والمنسوب إليه ، وكانت له اليد الطولى في حسن التصنيف وجودة العبارة والترتيب والتقسيم والتبيين » ١٥ .

وقال عنه الحافظ الذهبي : « كان غاية في الذكاء وفي سرعة الإدراك ، رأساً في معرفة الكتاب والسنة والاختلاف ، بحراً في النقليات ، هو في زمانه فريد عصره - علماً وزهداً وشجاعة وسخاء وأمرأ بالمعروف ونهياً عن المنكر وكثرة تصانيف - فإن ذكر التفسير فهو حامل لوائه ، وإن عد الفقهاء فهو

مجتهدهم المطلق ، وإن حضر الحفاظ نطق وخرسوا ، واستردّ وأبلسوا ، واستغنى وأفلسوا ، وإن سعى المتكلمون فهو فردهم وإليه مرجعهم ، وإن لاح ابن سينا يقدّم الفلاسفة فلسهم وبخسهم ، وهتك أستارهم ، وكشف عوارضهم ، وله يدٌ طويلة في معرفة العربية والصرف واللغة ، وهو أعظم من أن تصفه كلى ، أو تبيّنه ، إشارة قلبي ، فإن سيرته ومعارفه وبحثه وتنقلاته يحتمل أن توضع في مجلدين « ١٥ .

وقال تلميذه محمد بن شاكر الكتبي صاحب كتاب فوات الوفيات المتوفى في سنة ٦٦٤ هـ : « تقي الدين ، شيخنا ، الإمام الرباني ، إمام الأئمة ، ومفتي الأمة ، وبحر العلوم ، سيد الحفاظ ، فارس المعاني والألفاظ ، فريد العصر ، قريع الدهر ، شيخ الإسلام ، قدوة الأنام ، علامة الزمان ، وترجمان القرآن ، علم الزهاد ، وأوحد العباد ، قاصم المبتدعين ، وآخر المجتهدين » ١٥ .

وقال مرة أخرى : « وكان رحمه الله سيفاً مسلولاً على المخالفين ، وشجعاً في حقوق أهل الأهواء والمبتدعين ، وإماماً قائماً ببيان الحق ونصرة الدين ، طفت بذكره الأمصار ، وضنت بمثله الأعصار » .

وقال الحفاظ أبو الحجاج : « ما رأيت مثله ، ولا رأى هو مثل نفسه ، وما رأيت أحداً أعلم بكتاب الله وسنة رسوله ولا أتبع لها منه » ١٥ .

٤ — لم يرث شيخ الإسلام ابن تيمية العلم عن كلاله ، بل بيته بيتٌ للعلم والدين والفقه والإفتاء ، والزهد والعبادة والجهاد .

(١) أبوه عبد الحليم ، يقول عنه ابن كثير في تاريخه : « شيخنا ، الإمام ، العلامة ، الملقب ، شهاب الدين ، أبو المحاسن ، عبد الحليم » ١٥ . وهو أحد الذين أخذ عنهم شيخ الإسلام ابنه أحمد العلم ، وأحد الذين أخذوا عن والده شيخ الإسلام عبد السلام بن عبد الله مجد الدين أبي البركات المعروف بابن تيمية أيضاً .

وعنه يقول الحافظ الذهبي : « قرأ المذهب حتى أتقنه على والده ، ودرس ، وأفتى ، وصنف ، وصار شيخ البلد بعد أبيه ، وخطيبه ، وحاكمه ، وكان إماما محققا ، كثير الفنون ، له يدٌ طولى فى الفرائض والحساب والميئة ، ديناه ، متواضعا ، حسن الأخلاق ، جوادا ، من حسنات العصر » ١٠١ . وقال عنه البرزالي : « كان من أعيان الحنابلة ، باشر بدمشق مشيخة دار الحديث السكرية ، وبها كان يسكن ، وكان له كرسي بالجامع يتكلم عليه أيام الجمع من حفظه ، ولما توفى خلفه فيها ولده أبو العباس » ١٠١ .

(ب) وجده مجد الدين شيخ الإسلام أبو البركات عبد السلام بن عبد الله ابن الخضر ، أحد الحفاظ الأعلام ، وُلِدَ فى سنة ٥٩٠ ، وتوفى فى سنة ٦٥٢ من الهجرة ، وكان الإمام النحوى ابن مالك يقول عنه : « أَلَيْنَ للشيخ مجد الدين الفقه كَمَا أَلَيْنَ الحديدُ لداود » . وقال عنه الشيخ نجم الدين بن محمدان صاحب كتاب « الرعاية فى تراجم شيوخ حران » : « كان رجلا فاضلا فى مذهبه وغيره ، وجرى لى معه مباحث كثيرة ، ومناظرات عديدة » . وقال عنه الحافظ عز الدين الشريف : « حَدَّثَ بالحجاز والعراق والشام ، وبلده حران ، وصنف ، ودرس ، وكان من أعيان العلماء ، وأكابر الفضلاء » . وقال الحافظ الذهبي عنه : « قال شيخنا - يريد شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم - : كان جَدُّنا عَجَبًا فى حفظ الأحاديث وسَرَدِها ، وحفظ مذاهب الناس بلا كلفة » . وقال الحافظ الذهبي أيضا : « كان الشيخ مجد الدين معدومَ النظير فى زمانه ، رأسا فى الفقه وأصوله ، بارعا فى الحديث ومعانيه ، له اليد الطولى فى القراءات والتفسير ، صنف التصانيف ، واشتهر اسمه ، وبعد صيته ، وكان قَرَدَ زمانه فى معرفة المذهب ، مُقَرِّطَ الذكاء ، متين الديانة » . وقال ابن شاكر عنه : « حكى البرهان الراغى أنه اجتمع به فأورد نكتة عليه ، فقال مجد الدين : الجواب عنها من مائة وَجْهٍ ، الأول كذا ، والثانى

كذا ، وسَرَدَهَا إلى آخرها ، ثم قال للبرهان : قد رضينا منك الإعادة ، فخضع له وانتهى « ١٥ » .

(-) وجدته لأبيه السيدة بَذْرَة بنتُ خُرّ الدين أبي عبد الله محمد بن الخضر ، وتكنى أم البدر ، كانت تروى وتحدث بالإجازة عن ضياء الدين بن الخريف ، وكانت زوجَ جدّه عبد السلام بن عبد الله بن الخضر ، وتوفيت قبله بيوم واحد .
(د) وعمّ جدّه عبد السلام هو الإمامُ خُرّ الدين أبو عبد الله محمد بن الخضر ابن محمد بن الخضر بن علي بن عبد الله بن تيمية ، الفقيه الحنبلي ، المقرئ ، الواعظ ، شيخ حرّان ، وخطيبها ، رحل إلى بغداد فتفقه بها وسمع الحديث ، ولازم ابن الجوزي ، وسمع منه كثيراً من مصنفاته ، ثم أخذ في التدريس ، وكان بارِعاً في تفسير القرآن ، ثقة فاضلاً ، صحيح السماع ، حسن الأخلاق ، صدوقاً ، متديناً ، وله تصانيف كثيرة : منها التفسير الكبير ، في أكثر من ثلاثين مجلداً ، وله في شعبان من سنة ٥٤٢ هـ بحرّان ، وتوفي بحرّان أيضاً في يوم الخميس عاشر صفر من سنة ٦٢٤ .

ونحن إذا تتبعنا أهل العلم والتفوق من آل تيمية هؤلاء طال بنا الحديث ونشعبت طرُقُه ، ولسنا نريد في هذه الكلمة الموجزة أن نطيل على القارىء أو نشقّ عليه ، وللإستقصاء والتتبع مكان غير هذا خليف بهما .

• — وكما ورث شيخ الإسلام تقي الدين بن تيمية عن آله حبّ العلم والرغبة فيه ورث عنهم الورع والزهادة واللجأ إلى الله والدعوة إلى دينه ، فقد تحدث كتاب التراجم ومؤرخو الإسلام بأنه « نشأ في تصوف تام ، وعفاف ، ونائله ، واقتصاد في اللبس ولأكل ، فلم يزل ذلك خلقه ، صالحاً ، براً بوالديه ، تقياً ، ورعاً ، عابداً ، ناسكاً ، صواماً ، قواماً ، ذا كراة الله تعالى في كل أمر وعلى كل حائل ، رجاءاً إلى الله تعالى ، وقافاً عند حدود الله وأوامره ونواهيه ، آمراً بالمعروف ، ناهياً عن المنكر ، لا تكاد تحسه نشع من العلم ولا تروى من

المطالعة ولا تملُّ من الاشتغال ولا تكل من البحث ، وقل أن يدخل في علم من العلوم في باب من أبوابه إلا ويفتح له من ذلك الباب أبوابٌ ، ويستدرك أشياء في ذلك العلم على حذائق أهله ، وكان يحضر المجالس من صغره فيتكلم ويناطل ويُنصِّم للكبار ، ويأتى بما يتحير منه أعيان البلد في العلم ، وأفنى وله نحوُ سبعمائة سنة ، وشرع في الجمع والتأليف من ذلك الوقت .

٦ - واتخذت إرادة الله تعالى أن يذيع في الناس فضلُ شيخ الإسلام ابن تيمية ، وأن يُنبئ في العالمين ذِكْرُهُ ، فأناح له أَلْسِنَةُ الحسد والحقد ، وقبضَ له نفوس طالبي الجاه والحرصين على التسلُّق ؛ فما زالت هذه الألسنة تنوشه وتنفث عليه بالأذى والبهينة ، وما زالت هذه النفوس تتناولهُ بالكيد والدسَّ تارةً ، وبإعلان الحسيسة والتأليب عليه تارة أخرى ، وما زالت تحفر تحت قدميه تريد أن يجرَّ في المهوأة المليئة بأفاعى العداوة وعقارب الأضغان ، وهو مريض في طريقه الذي اختاره الله له وهباً له أسبابه ، صابراً على أذام ، محتسباً عند الله أجره ، لا يفتقر ولا يضعف ، ولا يهين ولا يستسلم ، لم تلن له قنأة ، ولم تفتُرْ له عزيمة ، ولم يؤثر فيه تهديد الجبارين ، ولا فلت غربة ظلمة الحبوس ولا قسرُ الاحتقال ، إلى أن جاءه أمرُ الله ، ونزل به القضاء الختم ، ودعا الله إلى جواره وهو ساجد في قلعة دمشق ليلة الاثنين لعشرين خلَّت من شهر ذي القعدة من سنة ثمان وعشرين وسبعمائة .

رحمه الله تعالى ، ورضى عنه ، وأرضاه ، وجزَّاهُ عن دينه وسنة نبيه خير ما يجرى العاملين من علماء هذه الأمة ، آمين .

الصَّارِمُ الْمَسْلُوكُ

على شاتم الرسول